المؤتمر العالمي للقرآن الكريم

ودوره في بناء الحضارة الإنسانية بمناسبة مرور (١٤) قرناً على نزوله

لجنة الأوراق والسكرتارية

أوراق المؤتمر

(الكتاب الخامس)

صدر بمناسبة مؤتمر القرآن الكريم

قاعة أفريقيا الدولية للمؤتمرات

(٢٠ - ٢٢ محرم ١٤٣٣هـ الموافق: ١٥ - ١٧ ديسمبر ٢٠١١م)

السودان - الخرطوم

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة إفريقيا العالمية
المركز الإسلامي الإفريقي

المؤتمر العالمي للقرآن الكريم ودوره في بناء الحضارة الإنسانية
(بمناسبة مرور (١٤) قرنا على نزوله)

٢٠ ـ ٢٢ محرم ١٤٣٣هـ ، الموافق ١٥ ـ ١٧ ديسمبر ٢٠١١م
الخرطوم ـ السودان

لجنة الأوراق والسكرتارية

الأوراق العلمية
(الكتاب الخامس)

التصميم والإخراج الفني

الأستاذ: طارق فاروق عبدالله هارون
الأستاذ: عبدالرحمن محمد الوسيلة

تصميم الغلاف

الشيخ الأمير

محرم ١٤٣٣هـ / نوفمبر ٢٠١١م

لجنة الأوراق والسكرتارية

١) الدكتور/ عمر أحمد سعيد	رئيسا .
٢) الدكتور/ عبدالقيوم عبدالحليم الحسن	رئيسا مناوبا.
٣) الدكتور/ كمال محمد جاه الله	عضوا .
٤) الدكتور/ محمد عبدالقادر محمد	عضوا
٥) الدكتور/ يوسف خميس أبورفاس	عضوا .
٦) الدكتور/ المعتصم محمد الأمين	عضوا .
٧) الأستاذ/ طارق فاروق عبدالله	عضوا مقررا .
٨) السماني علي أحمد	عضوا .

المحتويات

م	الموضوع	رقم الصفحة
١.	المحتويات	أ
٢.	مقدمة الكتاب	ب
٣.	تقديم الكتاب: بروفسور حسن مكي محمد أحمد	ج
٤.	إسهامات لغة القرآن الكريم في الدراسات اللغوية المعاصرة (المستويان الصوتي و النحوي أنموذجاً) (د. الصديق آدم بركات السودان)	١ – ٤٣
٥.	المدارس القرآنية في نيجيريا نشأتها ونظامها وآفاق المستقبل (أ.د. الطاهر محمد داؤد – نيجيريا)	٤٥ – ٦٣
٦.	التنوع البشري في القرآن الكريم Human Biodiversity (أ.د/ مبارك محمد علي المجذوب- السودان)	٦٥ – ٧٥
٧.	مراحل تكوين الجنين في الطب الحديث في ضوء الإشارات القرآنية (أ.د/ مبيوع مصطفي عبد الوهاب السودان)	٧٧ – ٨٧
٨.	التواؤم بين آيات الله القرآنية وآياته الكونية (أ.د . علي الطاهر شرف الدين –السودان)	٨٩ – ١٣٠
٩.	التنمية من منظور قرآني (د/ فتح الرحمن عبدالله محمد الصائغ – السودان)	١٣١ – ١٦٧
١٠.	القيم التربوية الاجتماعية في القرآن الكريم (أ. تهاني وداعة عثمان علي- السودان)	١٦٩ – ١٨٦
١١.	تنظيم الجماعات في القرءان الكريم بالتطبيق على نظام الأسرة (د/ حنان احمد مكاوي سليمان –السودان)	١٨٧ – ٢١٥
١٢.	أساليب التربية في القرآن الكريم (دراسة خاصة بأسلوبي الترغيب والترهيب)(د/ أحمد الريح يوسف أحمد أبو عاقلة- السودان)	٢١٧ – ٢٣٩
١٣.	فلسفة التربية في ضوء القرآن الكريم(دراسة خاصة بالإنسان) (الدكتور/ عمر أحمد سعيد- السودان)	٢٤١ – ٢٧١
١٤.	تاريخ علم الإعجاز القرآني (د. احمد حسن عمر حسن- السودان)	٢٧٣ – ٢٩٦

مقدمة الكتاب:

نضع بين يديك- عزيزي القاريء- هذه المجموعة من الأوراق العلمية التي كتبت بأقلام متنوعة، قد تكون مختلفة في تناولها للقضايا التي تطرحها، لكن يجمعها أنها تصب في بحيرة واحدة تمثل محاور المؤتمر العالمي للقرآن الكريم ودوره في الحضارة الإنسانية الذي تداعت له أقلام الباحثين بمختلف مشاربهم وتخصصاتهم.

الحق أن هذه الأوراق المشار إليها ما كان لها أن تكون بهذه الصورة التي عليها الآن لولا اجتيازها لعدد من المحطات، التي تأتي في مقدمتها، تحكيم مستخلصها وإعادة تحريرها عبر لجنة مختصة، ومن ثم تحكيم الورقة نفسها عبر لجنة مختصة أيضا، ومن ثم تصحيحها لغوياً بواسطة لغوي متميز في مضمار التدقيق اللغوي.

ارتكازاً على ذلك ندرك مدى الجهد الذي بذل في إعداد محتويات هذا المجلد من الأوراق العلمية التي نأمل أن تقع موقعاً حسناً عند القرّاء فذاك ما نصبو إليه، والله ولي التوفيق.

تقديم الكتاب

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يؤدي هذا المؤتمر العلمي مهمته، كاملة في التعريف بدور القرآن في تشكيل الحياة الإنسانية على استحالة ذلك بالطبع. لأن لهذا الكتاب الإلهي إسهاماته التي تبدو وكأنها لا متناهية في تشكيل التاريخ الإنساني، وتشكيل الفضاء العام وتشكيل العقل والوجدان وكل ما يتعلق بالإنسان ودوره في هذه الحياة.

كل ذلك لان القرآن خطاب الله الكامل للإنسان ، الكتاب الجامع المفتوح للدراسة والتأمل في كل زمان ومكان هو مصدر المعارف الدائم يَعْظُم من يأخذ منه ،ويَشْرُف من يلجأ إليه، مورد الخير ومنبع البركة والنعمة وهو الحبل المتين والقوة التي لا تلين. لكل ذلك لم ينقطع الاهتمام به والاحتفاء بعظمته منذ أن نزل وسيظل كذلك إلى ما شاء الله. كما أن الإسلام، حتى وفي ظروف الكبت والإقصاء والتهميش، ظل بفضل هذا الكتاب يُمثل المرجعية للأفراد والمجتمعات سراً وباطناً في ظل أوضاع الاضطهاد والحرب ومحاكم التفتيش التي ما تزال دائرة في بعض بقاع الأرض.

والحق أن اهتمام جامعة إفريقيا وأهل السودان به لم يأت من فراغ، وإنما يعود ذلك إلى الأهداف والوجهة الأولى للمركز الإسلامي الإفريقي، نواة هذه الجامعة، التي احتضنها أهل السودان شعباً وحكومةً، وآزرهم عليها قوم كرام وحكومات وهيئات كريمة ،وهي ذات الجهات التي تدعم اليوم مؤتمر القرآن الكريم.

ولا يزال القرآن الكريم من أكبر اهتمامات جامعة إفريقيا المتمثلة في مطلوبات الجامعة المهولة من القرآن ودراساته، وحلقاته العامرة في مساجدها وقاعاتها.

"المؤتمر العالمي للقرآن الكريم ودوره في بناء الحضارة الإنسانية" جاء عنواناً لهذا التجمع القرآني الكبير. عنواناً تنطوي تحته محاور تركز في مجملها على إسهام القرآن في حضارة الإنسان في كل مجالات الإسهام. نتج عنه هذه الأوراق التي تصب بحوثها في خدمه القرآن وإبراز دوره الحضاري.

هـذا المـؤتمر مجـرد محاولـه متواضـعة لقـراءة دور القـرآن في بنـاء المجتمعـات الإسلامية وكذلك معرفة إسهام العلوم التي بثها العقل الإسـلامي في إعادة تشكيل العقل الإنساني الذي قاد لحضارة العلمية الحديثة، كما أن القرآن يظل وراء كل حدث كبير، وما التحولات الجارية في العالم الإسلامي اليوم إلا صدىً لهذا الكتاب الذي لا تنقضي عجائبه، لان القرآن وراء ازدهار المساجد ووراء إعمار الشباب لدور العبادة، ووراء العودة لله، والقـرآن هـو التجويد والعلم والعقل والتدبر، وطهارة اليد واللسان والعفة، وطهارة العقل والبنان وطهارة الجنان، وفي إطار هذه المعاني يجئ هذا المؤتمر.

ولكي يظهر المؤتمر في الصورة اللائقة بعظمة القرآن حرصت الجامعة على البرامج المصاحبة ومن بينها معرض القرآن الكريم الذي يبرز جهود أهل القرآن بالسودان وغيره من البلدان، الجهود الرسمية والشعبية القديمة منها والحديثة.

كما تشمل التظاهرة حدثاً قرآنياً كبيراً تتجمع فيه خلاوي السودان بفسيفسائها وأطيافها المختلفة حول "تُقابة القرآن" نار القرآن العظمى التي تجسد تقاليد أهل السودان في تعليم القرآن ودراسته.

بالإضافة لذلك فأن هذه التظاهرة ستشهد مشاركة وفعاليات واسعة من الشخصيات والمؤسسات المعنية بالقرآن محلياً وإقليميا وعالمياً بما يبلور عظمه القرآن وجلاله.

وأنا، إذ أقدم هذا الكتاب للمؤتمرين والقراء وأصحاب الشأن والاهتمام، لا أشك في أن قيام هذا المؤتمر بهذه الصورة سيجلب الخير والبركة لجامعة إفريقيا ومجتمعها، وللسودان وأهله ودولته، عليه اسأل الله أن يكون في كل ذلك عملاً صالحاً وجهداً مباركاً، وان يكون لهذا الكتاب الذي يحتوي على طائفة من الأوراق المقدمة في المؤتمر فائدة عامة ودور ايجابي في التعريف بالمؤتمر بما يشحذ الهمم ويثير القرائح للإسهام في نجاحه وازدهاره.

واسأله تعالى أيضاً أن يكون هذا المؤتمر مجرد فاتحة لمئات المؤتمرات التي تتناول هذا الشأن.

والله ولي التوفيق،،

بروفيسور/ حسن مكي محمد أحمد
مدير جامعة إفريقيا العالمية

فلسفة التربية في ضوء القرآن الكريم

(دراسة خاصة بالانسان)

المحور التاسع: التربية في القرآن الكريم
(فلسفة التربوية في القرآن الكريم)

٢٠ـ ٢٢ محرم ١٤٣٣هـ، الموافق ١٥ ـ ١٧ ديسمبر ٢٠١١م
الخرطوم ـ السودان

إعداد:
الدكتور/ عمر أحمد سعيد
أستاذ مشارك في أصول التربية – عميد مركز ترقية الأداء الأكاديمي المهني
جامعة إفريقيا العالمية

مقدمة:

لا بد لكل عمل أو نشاط يؤديه الانسان في حياته من رؤية عامة وتصور متكامل يقوم عليه، وهو ما يعرف بالفلسفة التي توجه العمل وتحكمه.

والتربية، باعتبارها عملية معقدة لها وظيفتها ودورها الاساسي في حياة الانسان، لابد ان تقوم على فلسفة شاملة لهذه العملية متكاملة توجه العملية التربوية وتحكمها.

واذا كان الانسان هو المحور الاساس في هذه العملية مربياً كان او متربياً فان التعامل معه في العملية التربوية لابد أن تحكمه وتوجهه فلسفة محكمة لا تتحمل عيوب القصور ولا النقصان ولا يتطرق إليها الخطأ ولا الغفلة ولا النسيان.

والفلسفة والرؤى الوضعية التي جاء بها مفكرو العالم من لدن براهما، وبوذا، وماني، وافلاطون وغيرهم من القدماء والمحدثين تحتمل كل ما ذكر من عيوب أو بعضه، ومن ثم لا تكون فلسفة التربية القائمة على فلسفة وضعية أياً كانت وأنى كانت، مامونةً، ولا يكون الاعتماد عليها مأموناً، ومن ثم يتعرض الناشئة لخطر التربية الخاطئة. وفلسفات التربية القديمة، والحديثة طبيعية كانت أو مثالية أو واقعية أو نفعية أو تجريبية أو تحليلية تعترضها بجانب العيوب الآنفة الذكر مشاكل الاحتمال، والتغيُّر، والتعدد، وهذه من أكبر مصادر الخطأ والانزلاق في الفلسفات الغربية اليوم. واذا كان الخلط أو المزج بين الفلسفات لا يقل خطورة. فإنه من الضرورة البحث عن فلسفة مأمونه تضمن تنشئة الأجيال على رؤية صحيحة للتربية لا تعتورها المسالب والمعايب، ولا تواجه خطر الانزلاق والانهيار. فلسفة تعتمد على مصدر مأمون يعصم عقل الإنسان من الضلال والإنحراف في توجيه الناشئة وتدريبهم، مصدر تطمئن اليه المجتمعات المعنية بالتربية وتثق به مصدراً يعني بالانسان ويتجه إليه بالخطاب تعريفاً وتكريماً وتوجيهاً وهذا ما يهدف البحث إليه.

يقول الدكتور القرضاوي: (وإذا نظرنا إلى المصدر الأول للإسلام وهو القرآن كتاب الله وتدبرنا آياته وتأملنا موضوعاته واهتماماته نستطيع أن نصفه بأنه كتاب

الإنسان، فهو كله أما حديث إلى الإنسان أو حديث عن الإنسان). والحقيقة أن المطلع المتدبر في القرآن الكريم يلحظ أول ما يلحظ أنه كتاب تربية وتعليم ويكفي أن أول سورة نزلت منه على محمد (ﷺ) تحتوي مفردات التعليم والتربية وقد ورد ذكر الانسان فيها خمس مرات ومن ثم حصر المصطفى (ﷺ) رسالته في أنها رسالة تربية "إنما بعثتُ لأُتمم مكارم الاخلاق".

والقرآن بخصائص الصحة والصدق والموثوقية والثبات التي تميزه عن سائر الكتب قديمها وحديثها سماويها ووضعيِّها، كتاب كامل شامل متكامل في تناوله للانسان موضوع الفلسفة الاول وتوجيهه له، وهو كلام الله المنزل ومن ثم فهو المصدر المأمون الموثوق به لوضع فلسفة لتربية مأمونة وهذه هى الفرضية الأولى لهذا البحث الذي ينحصر في الإنسان وفلسفة تربية في ضوء القرآن الكريم الذي ورد ذكره الإنسان فيه أكثر من ستين مرة.

يتناول هذا البحث مفهوم الفلسفة، وفلسفة التربية وأهميتها ومكانتها. ثم يتعرض للإنسان في القرآن؛ جوهره ومكانته ووظيفته في هذه الحياة ودوره فيها. ثم يتناول علاقات الإنسان في حياته معتمداً في كل ذلك على استنباط المفاهيم والمبادئ والقيم والرؤى الفلسفية من أيآت القرآن الكريم وبذلك يخلص البحث الى نتائج مجمله مرتكزه على فرضية البحث الأساسية وهي أن القرآن الكريم مصدر متكامل مأمون لفلسفة واحدة متكاملة شاملة للتربية في مجالاتها المختلفة.

وباستعراض الباحث بعض مؤلفات الغربين حول الفلسفة التربوية، وطريقة تناولهم للإنسان والتركيزعليه، فإنه يرى أن القرآن الكريم يمكن النظر إليه بكل اطمئنان على أنه كتاب معجز في التربية وتناول موضوعها الأول وهو الانسان. وهذا مجال خصب لدراسات الاعجاز في القرآن الكريم يوصي البحث بضرورة الاهتمام به مع الاعتصام بضوابط هذا النوع من الدراسات.

١) مفهوم الفلسفة:

الفلسفه في أصلها اليوناني المكون من كلمتين يونانيتين "فيلا Phela"، و"صـــوفيا Sophya" تعني حب الحكمة وإيثارها[١]، وهي بمعنى البحث عن المعرفة الكاملة الشاملة بطبيعة الوجود والحياة والكون وأصله وإدراك كنهه وجوهره، فيكون بذلك مفهوم الفلسفة هو إيثار معرفة الحياة والكون علي وجه العموم والشمول، ومن ثم يكون الفيلسوف هو المحب لهذا النوع من المعرفة الدائم السعي لتحقيقها والتزود بها. فالفلسفة إذا هي "حكمة الحياة[٢]، التي يحتاجها الإنسان لممارسة الحياة علي وجهها الصحيح. وهذا المفهوم هو مفهوم الحكمة كما يعرفها الاسلام ولعل هذا المفهوم يزيل مايوجد عند بعض المسلمين من لبس وتشكك حول كلمة فلسفة التي غالبا مايبعث أصلها الأوربي Philosophy عندهم شيئا من الحساسية والاعتقاد فى أنها معارضة للإسلام، هذا الاعتقاد لا وجود له أصلاً في مفهوم الفلسفة وغالباً، ما يكون باعثه ربط الفلسفة بالاغريق مع ان الحكمـــة فـــي الأصل شرقية.

والحكمة في الإسلام وبمعناها الذي ورد آنفا أمر مطلوب ومرغوب فيه لأن القرآن الكريم يمجدها ويعظمها إذ أن ذكرها في القرآن الكريم قد ورد أكثر مـــن (١١٠) مرة[٣]، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[٤]، وهي ما يهبه الله للذين اصطفي من أنبيائه وقد أشار القرآن الكريم إلي لقمان الحكـــيم ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ ﴾[٥]، ودلت آيات وصاياه علي اكتسابه معرفةً صحيحة شامله بحقائق الحياة كمـــا أشـــار القرآن إلى داؤد عليه السلام وغيره.

لا تكون المشكلة إذاً في ذات الفلسفة وإنما في مصادرها، ووجهتها، فالإسلام يُرَغِّبُ في الحكمة ويدعو إلي طلبها كما ورد في الحديث: "لا حسد إلا فـــي اثنتـــين رجل اتاه الله مالا فسلط عَلَيْهِ هلكته في الحق، ورجل أتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها"[٦]، وقوله: "الحكمة ضالة المؤمن،" والمؤمن الحق هو العارف بالحياة حق

معرفتها فهو (كَيِّس فطِن)، أما حكمة اليونان والأوربيين فينظر إلي أصولها ووجهتها فيؤخذ منها مايتفق وأصول الإسلام ويترك مالا يتفق[٧]، ووفقاً لذلك يتناول هذا البحث فلسفة التربية في ضوء القرآن الكريم.

٢) مفهوم فلسفة التربية :

تعددت آراء العلماء حول مفهوم فلسفة التربية يري "جون ديوي John Dewey" أن فلسفة التربية: (هي النظرية العامة للتربية)[٨]، وهذا يعني ان الجانب النظري من التربية هو الذي تعول عليه فلسفة التربية في مقابل الجانب العملي. أما "كان Cahn"[٩] فيورد بعض الآراء التي تشير إلى أن فلسفة التربية ما هي إلا فلسفة محضة تخص النظر في حياة الإنسان والصورة المثلى التي ينبغي أن يكون عليها في حياته. بينما يري اصحاب الفلسفات التحليلية أن فلسفة التربية ينبغي أن تخرج من نطاق التنظير لحياة الإنسان إلى تناول قضايا التربية المتعلقة بالأخلاق والمعايير وصحتها والقيم الدينية ومفاهيمها[١٠]، وهؤلاء يرون ترك النظرة الكلية إلى الإنسان إلى الفلسفة العامة. وهنالك رأي آخر يرى أن فلسفة التربية ماهي إلا فرع من فلسفة المعرفةEpistimology، بمعنى أنها تتناول الجانب المتعلق بالمعرفة وأهدافها وطرق نقلها[١١]. غير أن فلسفة التربية الإسلامية لا يسعها إلا أن تقوم علي تلك النظرة المعمقة الشاملة للإنسان[١٢] لأن كمال النظرة ووحدتها يمثل الهدف المشروع لفلسفة التربية[١٣]. ولأنهاهكذا تأتي من الوحي وليست مأخوذة من العقل المحض، علماً بأن الرؤية المعرفية للفلسفة لا تتعارض معها لأن المعرفة مرتبطة بالإنسان في طبيعته واستخدامه لها في حياته.

٣) العلاقة بين التربية وفلسفة التربية :

وعن ارتباط التربية بصفة عامة بالفلسفة التربوية يرى بعض العلماء أن الفلسفة والتربية إنما هي وجهين لعملة واحدة، بينما يرى آخرون أن علاقة التربية بالفلسفة علاقة اشتراك في موضوع واحد تتناوله الفلسفة من الناحية النظرية بينما تتناوله التربية من الناحية العملية، وهو رأي قريب من رأي ديوي إلا أنه يضيف

وجود علاقة التفاعل بينهما[١٤]، ولعل من الآراء المقبولة حول العلاقة بين التربية والفلسفة التربوية مايرى أن الفلسفة التربوية تعد وسيلة نظرية لتنظيم عملية التربية وتنسيقها وبيان الأهداف والقيم التي ترمي إليها[١٥]، ومهما يكن من تباين حول مفهوم فلسفة التربية وطبيعتها ودورها فإن معظم العلماء[١٦] قد أكدوا على أهمية وجودها وضرورتها وذلك لأنها تعين علي توجيه التربية وتطويرها في مجالات مختلفة[١٧].

٤) اهمية فلسفة التربية :

إذا كان محور التربية هو الإنسان وأن هذا الإنسان يعيش في هذا الكون وهو محتاج إلى المعرفة التي تعينه في حياته، فإن التربية التي تقوم عليها تنشئته ويتوقف عليها تقويمه وإصلاحه واعداده للحياة، لابد أن تنطلق من نظرة كلية شاملة، له وللكون والحياة والمعرفة، فلسفة التربية بمعنى النظرة الكلية والإطار العام الذي تقوم عليه التربية ويتحدد مسارها به ولا غنى للتربية عنها. والمربون عبر العصور كان لهم تصوراتهم الكلية للحياة والكون ودور الإنسان. وبناءً على هذه التصورات يوجهون مجتمعاتهم ويعلمون ناشئتهم ويعدونهم للقيام بدورهم، كل منهم حسب نظرته الكلية للحياة ولهذا جاءت أسس التربية مختلفة وفقا للنظرة الكلية التي يراها فلاسفة التربية عبر العصور؛ فأصحاب النظرة الدينية كانت تربيتهم مركزة على الاعداد الروحي، وأصحاب النظرة السيادية القائمة على القوة جاءت تربيتهم عسكرية. وكذلك أصحاب النظرة المثالية والواقعية والنفعية والاشتراكية وغيرها تتلون تربيتهم بلون فلسفاتهم في الحياة ضمن رؤيتهم الكلية لهذه الحياة سياسياً واجتماعياً، وخلقياً وسلوكياً وعملياً[١٨]، وكل هذه الفلسفات تؤكد أهمية وجود فلسفة تربوية[١٩].

يولي الغربيون اهتماما كبيرا لفلسفة التربية على اعتبار أنها الأساس الذي تقوم عليه التربية وهذا الاهتمام جدير بالمسلمين وهم أولى به، وذلك لأسباب عديدة أهمها: أن الإسلام باعتباره رسالة شاملة لكل بني البشر، والإنسان هو مناط التكيف فيها، يتمتع

بنظرة فلسفية (كلية) للإنسان جوهره وخلْقه ومكانته ودوره في الكون والحياة وعلاقاتها المختلفة. نظرة ربانية رفيعة ثابتة شاملة للجوانب البشرية، ايجابية منطلقة من الواقع[٢٠] لا يوجد مثيل لها في النظم الغربية، وذلك لما للنظرة الإسلامية من الشمول والتوازن والوسطية النابعة من ربانيتها، ولما يميزها من ارتكازها علي الوحي الصحيح بدلا عن العقل المحض الذي يُفسد عمله الخطأ والنسيان, والنقصان, وغياب الحقائق، الأمر الذي لا يتطرق إلى الوحي، ولما يميزها من جهة أخرى من المحورية والمركزية ووحدة الرؤية مما لايتوافر في الفلسفات الغربية المتعددة المتناقصة عبر العصور والتي يرى مؤرخوها أنها مع تعددها مرتابة في أمر التربية[٢١] من لدن أرسطو إلى يومنا هذا، ولما تتصف به من جهة رابعة من الثبات والمصداقية مما لا يتوافر في فلسفات التربية الغربية المتغيرة بتغير الزمان والمكان والبيئة ومستجدات الحياة، مما جعل التربية الغربية الحديثة تسيء فهم الطبيعة الإنسانية ومن ثم تبني تربيتها على أصول فلسفية خاطئة[٢٢] وكل تلك خصائص مهمة تتمتع بها فلسفة التربية الإسلامية تجعل الاهتمام بهذا الجانب من التربية أمراً ضرورياً لابد من التركيز عليه في دراسة علوم التربية.

٥) الإنسانِ في فلسفة التربية:

الإنسان هدف التربية الأساس لأنه المعني بالتربية والمكلف بأدائها باعتبارها أمر حتمياً ولهذا تتناوله فلسفة التربية في كل الفلسفات[٢٣] والنظم على اعتبار أن النظرة الكلية إليه - وهي الفلسفة - هي التي تقوم عليها تربيته وإعداده للحياة[٢٤]، ولهذا فإن فلسفة التربية في الإسلام مؤسسة على قاعدة ثابتة هي أن النظرة الكلية للإنسان لا تأتي من علمه هو بنفسه بل من علم خالقه به وهو الله تعالى وهذه بدون شك خاصية تميز فلسفة التربية الإسلامية عن سائر فلسفات التربية القائمة على النظر الوضعي، وشتان ما بين فلسفة تخرج من نظر الإنسان إلى نفسه، وأخرى تأتي من نظر خالقه إليه، لأن نظرة الخالق نظرة العارف بكل شيء ونظرة الإنسان نظرة العارف ببعض الشيء الجاهل بجله. هذه الخاصية تجعل فلاسفة التربية في الإسلام مؤمنين بالأساس الصحيح الذي يقوم عليه إعداد

الإنسان للحياة. هذا فضلا عن أن الكون والحياة والمعرفة، وهي الاضطلاع التي تكون مع الإنسان موضوع فلسفة التربية، كلها من صنع الله العالم بها وبمكانة الإنسان منها جميعا. يقابل ذلك بالطبع العلم الناقص بها لدي الفلسفات الوضعية وسيتضح ذلك في مناقشة التفاصيل الخاصة بتصوير القرآن الكريم للإنسان وتصور غيره من الفلسفات. وتجدر الاشارة هنا إلى أن فلسفة التربية بمعناها الدقيق لاتوجد إلا في الإسلام لأن النظرة الكلية للأركان الأربعة لا تتوافر في غير كلام الله بسبب عوامل النقص، والجهل، والمحدودية، والظنية والاحتمال، والتغير الذي يتصف بها عقل الإنسان في مقابل أضادها تماما من علم الله الكامل الشامل الثابت. وينقل عن الكندي أول فلاسفة الإسلام أن القرآن الكريم إشتمل على تعاليم جمة جلية كان الفلاسفة قد وصلوا إلى شئ منها عبر التأمل العقلي[٢٥]، فالقرآن هو الاصل وهو الكل الشامل وما عداه قطرات من محيطه.

٦) – أ- الانسان في القرآن الكريم :

يرى الدكتور يوسف القرضاوي[٢٦]: (أن القرآن الكريم في مجمله إمَّا كلام عن الانسان او خطاب له وعليه فإن اهم ما يمكن أن يناقش هو النظرة الكلية للإنسان في القرآن، لأهميتها القصوى في إعداده للحياة بالتركيز على ما بينه القرآن من أصله؛ كيف وجد في هذا الكون؟ ومن أي شيء وجد؟ وما حقيقة جوهره وما وضعه ومكانته في الكون، وما دوره فيه وعلاقته مع مخلوقاته؟).

٦)أ–١- خلق الانسان :

ولعل أول المنطلقات التي تقوم عليها فلسفة التربية في القرآن، أن الأنسان مخلوق لله ضمن سائر خلق الكون ﴿رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾[٢٧]، فهو جزء من صنع الله وإبداعه. وهنا تختلف نظرة الإسلام للإنسان اختلافاً جوهرياً عن الفلسفات الأخرى، وأغلبها فلسفات إما أنها قائمة على جهل بحقيقة الخلق أو على علم ناقص أو على إنكار لوجود الخالق أصلاً. فالفلسفات القديمة عند قدماء المصريين والأديان الأسيوية قائمة على معرفة

غامضة بطبيعة الخالق تتخبط في البحث عنه والتقرب إليه، أما فلاسفة الأغريق فقد كانت فلسفتهم قائمة علي النظر العقلي المحض في أمر الذات العليا، ولهذا فالخالق عندهم هو "الأول"، أوهو "العلة الأولى" أوهو"العقل الأعظم" الذي يفيض على عقل الإنسان أو يشرق فيه(٢٨)، وهو تصور عقلي ضال لايسنده دليل قطعي علمي، ورثه عنهم فلاسفة أوربا فانتهي بهم الأمر إلى فلسفات لاتؤمن بوجود الله ثم بلغ بها غرور العقل أن أعتبرت الإنسان أو عقل الإنسان هو الله نفسه ولا شيء هناك غيره. وهذا الضلال طبيعي لأن عقل الإنسان أوهن وأضعف من أن يعرف حقيقة نفسه ناهيك عن أن يعرف كنه خالقه معرفة يقينية.

هذا الأصل الفلسفي الإسلامي يضع الإنسان وعقله في المكان اللائق به بعيدا عن مقامات الغرور ومن ثم التسلط والجبروت. وإذا كان إدراك الذات من أهم أهداف التربية فإن هذا الأصل يُربي الإنسان على معرفة ذاته وإمكاناتها المحدودة، بجانب معرفة الذات العليا وإمكاناتها المطلقة، فيعظم الله في ذاته. وإذا كانت معرفة قوانين الطبيعة وتسخيرها من أهداف التربية العليا فإن هذا الاصل يضع الإنسان أمامها باعتباره جزءا منها غير خارج عنها بما يدفعه إلى اكتشاف قدرة الله الشاملة وعلمه المطلق كلما زاد علمه بها، ومن ثم يدفعه إلى خشية الله وتعظيمه.

كل ذلك على خلاف تام مع النظرة الغربية، التي تمجد عقل الإنسان وتعظمه وتجعل له السيادة على كل شيء وهي نظرة موروثة لدي الغربيين، من أسلافهم اليونان تعمقت لديهم بعد الثورة الصناعية فيما يسمي بعصر التنوير وانتهت باستبعاد الله تماما من حياتهم في فكره العلمانية (اللادينية).

ولابد من الإشارة هنا إلى الفارق الكبير بين تصوير القرآن للإنسان باعتباره مخلوقاً لخالق عظيم وبين تصوير الكتب السماوية الأخرى التي تحرفت نظرتها للخالق لتتصوره على هيئة قريبة من الإنسان، نظرة ملؤها التشبيه والتجسيم الذي يقارب بين الله والإنسان مما يفسد النظرة الكلية له مقارناً بالذات العليا، ويضعه في

مكان العظمة والغرور الذي تعمل النظرة الإسلاميةعلى استبعاده. فالإنسان في الإسلام بكل قدراته وقوته وعلمه لا يمكن أن يوضع موضع المشابهه لله جل شأنه[٢٩]، ولايرتقي عقله إلا في إطار حدوده الضيقة.

ولابد من الإشارة هنا أيضا إلى النظريات الغربية التي تجعل أصل الإنسان دودة تطورت ذاتياً عن خلية من الطين عبر الزمن مرورا بالقرد فالشمبانزي ثم الإنسان[٣٠]، ومع أن العلم قد أبطل هذه النظرة فإنها بدون شك تؤكد أن الإنسان عاجز عن معرفة نفسه تماما ولابد له من أن يسمع من خالقه عنها. ومثل ذلك النظريات التي تتناول الخلية والاستنساخ التي لا تؤدي إلا إلى غرور الإنسان وتطاوله على الخلق مع أنه بكل علمه لم يخرج من خلق الله قيد أنمله، وهو في كل ذلك أعمى لا يعرف مآل مايقوده اليه غروره ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾[٣١]، ولاتزال مخاطر الاستنساخ تكتشف يوما بعد يوم في النعجة دولي وغيرها من مباحث الخلية والهندسة الوراثية التي لايعلم مانتطوي عليه من أخطار إلا الله عالم هذه الأسرار[٣٢].

٦)أ-٢- عنصر الإنسان:

المنطلق الثاني ما أخبر به القرآن عن أصل الإنسان وجوهره وهي نظرة ذات شقين لهما أهميتهما القصوى في تربية الإنسان بتحديد جوهره:

- **الشق الأول:** يتناول المادة التي خلق منها الإنسان، إذ يؤكد القرآن الكريم، في غير ما موقع، ارتباط الإنسان في مادة خلقه الأولى بالأرض التي هبط إليها ليعيش فيها وهي الطين أو الصلصال ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾[٣٣]، وقال ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾[٣٤]. إدراك هذا العنصر ضروري لتربية الإنسان من عدة جهات أهمها: إشعاره بارتباطه بالأرض التي يعيش عليها فهو جزء منها ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ ﴾[٣٥]، ثم أخباره عن

وضاعة أصله حتى يعرف قدره ومآله، ومن ثم يتواضع أمام خالقه ويخشي قدرته وجلاله فيحسن عمله، ومنها إعلامه بأنه جزء من الخلق لاشيء خارج عنه فهو في ذلك كالحيوان والنبات وبقية الأحياء ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴾[٣٦]، ومنها اشعاره بسهولة إعادته إلى الأرض كعودة كل الأحياء إليها بعد موتها وانصهارها بالكلية فيها، ولهذا ارتبطت فكرة الخلق في القرآن بفكرة الموت والعودة إلى الأصل ﴿ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهِ وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ﴾[٣٧]، وهنا يربي الإنسان على أن يضع قدرة الله نصب عينيه في حياته. ولايمكن أن يُشكل أمر خلق الإنسان (اللحم والدم والعظم)، أي مشكله في التصور كما يحاول بعض المشككين في ذلك، فكل هذه المواد كامنة فى الطين كما يعرف أهل العلم لايخرجها منه إلا قدرة الله تعالى يصور بها خلقه وذلك واضح في قوله: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴾[٣٨]، وقوله:﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴾[٣٩]، وهذا الانسان كما يرى بعض المفسرين هو آدم. اللحم والدم والعظم فيه كلها مستلة من الطين ولايقدر علي استلالها إلا الله تعالى وهو القادر على اعادتها مرة أخرى إلى ذلك الأصل. وهنالك بجانب الخلق الأول الخلق الآخر كما يخبر القرآن بدقائق هذا الخلق بعلم الله المطلق الكامل، لا علم الإنسان الناقص وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴾[٤٠]، وقد تناول العلماء آيات خلق الإنسان في الرحم بما يؤكد عظمة الخالق ويؤيد ضعف الإنسان بكل ما أوتي من علم، وقصوره عن إدراك الحقيقة الكاملة.

في كل ذلك أساس متين لتربية الإنسان تبين له مكان قدرته أمام قدرة الصانع القدير بما يجعله متواضعا من جهة، ومايحفزه من جهة أخرى إلى مزيد من البحث عن قدرة الله في الخلق والعمل على معرفة القليل من أسراره بما يعينه على تسخيره في الخير والإعمار والصلاح.

○ **الشق الثاني:** من تركيبة الإنسان وجوهر خلقة كما ورد في القرآن الكريم يتناول جانبا آخر له دلالاته وقيمه التربوية وهو (الروح)، وإذا كان الشق الأول موجه

تربويا إلى إعلام الإنسان بوضاعة خلقه وإلتصاقه بالأ رض والطين، فإن الشق الثاني موجه إلى أخباره بعظمة خلقه وقدسيتها وجلالها فهو وضيع ملتصق بعالم الملك في طين الأرض، وهو في الوقت نفسه الوقت رفيع يمكن أن يرتقي إلـــى الله تعالي عالم الملكوت، مرتفعاً عن طين الأرض ليكون ربانياً.

فالروح التي هي من أمر الله لامحالـــة ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾(٤١)، جاءت في البدء من نفخ الرحمن في طين الإنسان ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴾(٤٢)، فالأنسان في عنصره أرضي وفي روحه علوي، وهنا يربي الإنسان على احترام نفسه وتعظيمها وتحريمها وتقديسها فيحصل بذلك على التوازن الذاتي حيث تمنعه وضاعة الطين من الغرور وتمنحه قداسة الروح، من العزة والكرامة، ما يمنعه من السقوط إلى وحل الطين وأوساخه. وهـــذا ســـر الفطرة في خلق الإنسان تتجاذبه غرائز الطين إلى انحطاط النفس وترتقي به روح الله الى علو القدس، ولهذا جاءت التسوية في الآية مصاحبة للنفخ، وهذا سر عظمة الإنسان عند الله تعالى، السر الذي عجزت عن إدراكه الملائكة ساعة احتجاجها على تفضيل الإنسان عليها وهي من نار وهو من طين فكانت إجابته تعالي ﴿ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٤٣). يفضي هذا المعنى الى المنطلق الثالث من فلسفة خلق الإنسان وهو ابداع خلقه من الله تبارك وتعالى.

٦ـأ ـ٣ـ ابداع خلق الانسان:

ثالث المنطلقات القرآنية: هو ماوهب الله تعالى للإنسان من حسن الخلقة وتمامها وتسويتها. الأمر الذي تضافرت به الآيات القرآنية في مثـــل قولـــه: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ (٤٤) وقولـــــه ﴿ خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ (٤٥) ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴾(٤٦).

فالتقويم في الآية الأولي الاعتدال والتوازن والدقة في الخلق وكلها تشير إلى إبداع الله تعالى خلق الإنسان جسما وعقلا وروحا وفطرة قويمة. وتضيف الآية الثانية إلى ذلك التسوية والتناسق وحسن التركيب وهو شامل أيضا للجسم والعقل والروح والفطرة أمـــا

الآية الثالثة فتضيف إلى التسوية والتوازن العنصر الألهي المقدس السابق في تكوين الإنسان وهو الروح.

في كل ذلك معلومات مهمة نقلها القرآن عن صورة الإنسان كما أبدعها خالقه وهي أصول جد مهمة في التربية وإذا كان مفهوم التربية عند الغربين هو استخراج كوامن الإنسان ومقدراته وإمكاناته ليستفيد منها في حياته[٤٧]، فالتصور الإسلامي الموجود في الآيات السابقة وغيرها يعمل بوضوح على تنبيه الإنسان إلى كل امكاناته في كمال خلقه، وإذا كان مفهوم التربية في الإسلام هو التدرج بالإنسان إلى طريق الكمال[٤٨] فإن الآيات الكريمة تشير بجلاء إلى ذلك الكمال في الخلق الذي أنعم الله به على الإنسان. ولابد من الإشارة هنا إلى مايميز النظرة الإسلامية لخلق الإنسان عن غيرها، تلك النظرة الشاملة لكل جوانب الكمال في مقابل نظرة الفلسفات الغربية التي تنحصر منذ بدايتها عند اسلافهم الإغريق على الكمال الجسمي والعقلي فقط [٤٩]، ومن ثم تركز الفلسفة الغربية على تربية الإنسان في هذين الجانبين فقط مع إهمال للجانب الروحي والوجداني والأخلاقي.

وثمه فارق آخر كبير بين النظرة الإسلامية والنظرة الغربية لجوهر الإنسان يتمثل في تركيز الإسلام على جمال الفطرة عند الإنسان وسلامتها، خلاف النظريات الغربية الدينية منها وغير الدينية والتي تجعل الإنسان بطبيعته محورا للشر والخطيئة[٥٠]، أو الفلسفة الطبيعة التي تجعل من الإنسان حيوانا محضا في سلوكه وغرائزه ومن ثم ترمي التربية في الإسلام إلى إرجاع الإنسان إلى فطرته التي خلق عليها فى كمالها الذي خلقت له بالتدرج به شيئا فشيئا نحوه، مما هو واضح من تعريفات أعلام التربية، الذين مر ذكرهم، لمفهوم التربية[٥١]، بينما ترمي التربية الغربية في الفلسفة النفعية السائده إلى زيادة قدراته المادية والعقلية ليسهل له تسخير الكون لنفعه وفائدته دون مراعاة لكمال العقيدة والأخلاق والوجدان في شخصه. يعمل هذا الأصل أيضا تربويا على تنبيه الإنسان إلى قداسة أخيه الإنسان وحرمته وعظمة شأنه ليتعامل معه بالشفافية المطلوبة وأقلها المحافظة على حقوقه وكرامته. ولابد من الإشارة هنا إلى سبق الإسلام في التأكيد على

حقوق الإنسان وإنسانيته في وقت كانت الحضارات السابقة له لاتعرف حتى مجرد الكلام عن الإنسانية. ولاتزال الشفافية التي ينظر بها الإسلام إلى الأنسان وحقوقه ومشاعره بعيدة المنال حتي لدى عالم اليوم بمؤسساته الإنسانية الدولية التي سبقها الإسلام بأكثر من أربعة عشر قرنا إذ لم يتجاوز عمر الحديث عن الشفافية(TRANSPERENCY)، وهي الإحساس الكامل بالإنسان الآخر ومراعاته في الخطاب والتعامل العقد أو العقدين وكانت ماثلة من قبل في الإسلام في تركيزه على المؤاخاة، والتعايش، وشفافية الجوار، والإحساس الكامل بالآخر والشفافية فى التعامل مع اليتيم والأسير والعاني والخادم والمسافر، وغير ذلك مما تزخر به سيرة الرسول وأصحابه ترجمة صادقة لجوهر الرسالة الإسلامية الحقة كما فهمها الرسول وأصحابه من القرآن الكريم.

٦)أ-٤- تكريم الانسان وتفضيله في القرآن الكريم:

أما المنطلق الرابع، وهو وثيق الصلة بسابقه فيتمثل في تكريم الإنسان وتفضيله على سائر المخلوقات. ينظر الإسلام إلى الإنسان ضمن كلية النظرة إلى الخلق على أنه اكرم خلق الله وأفضلهم على الإطلاق، ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾(٥٢)، هذه الآية والمخاطب بها هو الإنسان بالطبع تنطوي على قيم تربوية عظيمة أقلها أن يعي الإنسان مكانته عند خالقه، ومن ثم يعمل على المحافظة علي هذه المكانة وهذا الشرف العظيم، وأدناها أن يدرك موضع الصدارة الذي وضعه الله عليه في هذا الكون، صدارته حتى على الملائكة ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾(٥٣)، أنَّ هذا الامر من الله للملائكة بالسجود لبشر وهو آدم عليه السلام ليؤكد بدون ريب مكانة الإنسان عند خالقه، وإذا كان سجود الملائكة للإنسان أول خلقه قد أكدته الآيات اللاحقة وهو أمر حدث في الأزل بإعتباره أمرا غيبيا، فإن مدلوله التربوي لدي الإنسان عظيم القدر يجعله يدرك ما ينتظره وما يعول عليه من أمره في الكون بما

فيه الكون العلوي، لايزحزحه عن هذا المكان إلا عمله وسلوكه وصلته به وبخالقه، وليس عليه إلا أن يعمل جهد نفسه ليكون أهلا لهذه المكانة. ولابد من الإشارة هنا إلى أن الغرب الذي ينكر الغيب والمخلوقات العليا "ماوراء الطبيعة" قد لايعبأ بهذه النظرة وهذه المكانة ولكنه بدون شك لايستطيع إنكار دورها التربوي حين يعلن الخطاب القرآني حقيقتها للإنسان بكل قوة وتركيز، ومن ثم يتحتم تأثره بها في وجوده على هذا الكون. ولعل مما يميز النظرة الإسلامية في هذا الجانب, أن الإنسان الغربي لايزال في ثقافته يرهب ماوراء الطبيعة وما يمكن أن يكون فيها من قوة مجهولة مما يتضح بجلاء في الاتجاه الذي أصبح يسلكه الغرب اليوم في تصوره لما وراء الطبيعة فيما ينتجه من أفلام الرعب وقصص وخرافات عاد فيها إنسان الغرب بكل علمه وقوته إلى تفكير الإنسان البدائي المشحون بالرهبة والرغبة إزاء عالم ماوراء الطبيعة لأنه يجهل مكانة الإنسان من الخلق.

يضع القرآن الإنسان في مكان الصدارة من هذا العالم ويبين له أنه أعظم مخلوقات الله. ولعل مما يعجب له المرء وهو يعالج هذا الموضوع أن يري المسلمين الذين شرفهم الله بخاتمة الرسالات يأتون اليوم في مؤخرة ركب الحضارة وكان الأولي أن يكونوا في مقدمتها كما كانوا من قبل للمكانة العظيمة التي اختارها الله للإنسان كما جاءت في القرآن. وليس ذلك بالطبع لنقص في وعي المسلمين بين بني البشر بهذه المكانة وإنما هو تقاعس لازم المسلمين، وتدهور لحق بهم، لابتعادهم عن تعاليم القرآن وإشاراته الخاصة بالإنسان ومكانته. ومع ذلك فالمسلمون أقرب من الناحية الروحية إلى معرفة مكانتهم من عالم الغيب لأن القرآن قدم لهم معلومات كثيرة عن هذا العالم يجهلها الغربيون خاصة مايتعلق بمكانة الإنسان. ونشير هنا أيضا إلى أن التربية الإسلامية أفضل من التربية في النصرانية المحرفة التي تجعل الإنسان سلبيا قنوطا لأنه مصدر الشر والخطيئة، يقترف منها مايشاء ويحمل أوزارها عنه رجال الكنيسة عن المسيح ؛ نظرة قاصرة تضع الإنسان في مصاف الحيوان يتحكم فيه رجال الكنيسة. وكذلك النظرة في اليهودية التي تميز بين بني

البشر فتضع اليهود- لا الإنسان - في صدارة الخلق شأنها شأن الكثير من الأديان الآسيوية[٥٤]، ومثلها نظرة الشعوب الغربية إلى الشعوب الأخرى التي تخول لها استعبادها واستعمارها، وقريب منها نظرة الإنسان الأمريكي اليوم إلى الامم الأخرى، وهي بدون شك نابعة من نظرة اليهود الذين يسيطرون على امريكا ويمنونها بامبراطورية العالم الكبري[٥٥]، ولا تنفصل عن ذلك – بالطبع- نظرة العولمة والنظام العالمي الجديد التي يفرضها النظام الاقتصادي الغربي المهيمن ويعمل من ورائها على محو الآخر بتراثه وثقافته.

تقدم فلسفة التربية في الإسلام النموذج الأمثل لمكانة الإنسان من الخلق والحياة، المكانة السامية التي يجب عليه المحافظة عليها والعمل على أن يكون أهلا لها. وليس من المهم من الناحية التربوية معرفة أسباب هذا التفضيل والتكريم لأن ذلك من أمر الله ومن علمه وهو واضح في الحوار القرآني الذي عرضة القرآن مع أبليس الذي رفض الأمر بالسجود ونجم عنه لعنة الله له إلى الأبد. ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[٥٦]، حيث نظر ابليس إلى وضاعة عنصر الإنسان وهو الطين وعلو عنصره وهو النار ظنا منه أن التفضيل يكون بالعنصر لا بالجوهر فكانت الأجابة من الله تعالي ذات قيمة تربوية عالية ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٥٧]. ولسنا فى التكريم مكلفين بالطبع بالبحث عن الأسباب ولكننا يمكن أن ننظر إلى عناصر التفصيل لأهميتها في معرفة الأسس الفلسفية للتربية في ضوء ما جاء به القرآن.

٦)أ-٥- عناصر التكريم والتفضيل:

تتمثل عناصر التفضيل والتكريم في ثلاثة عناصر رئيسة [٥٨]. يمكن استخلاصها من القرآن الكريم:

١) **تكريمه بشيء من روحه:** الإنسان ليس مكلفاً بمعرفة الروح وكنهها لأنها من أمر الله فإن مجرد وجود شيء من أمره في صنع الإنسان وتركيبه يوحي تربويا بما يمكن أن يكون كامنا من قدرات روحية إذ أن الروح هي التي بها يكون الإنسان كائنا من

كائنات الملأ الأعلى لأن انسانيته لم تتشكل إلا بعد نفخ الروح الرباني فيه [٥٩]، وقد كان وجوده أصلا في العالم العلوي ثم أمر بالهبوط إلى الدنيا ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٦٠].

ولعل مما يؤكد أهمية الروح باعتبارها عنصرا للتفضيل أنها تمثل مكان الاتصال بين الله والإنسان الذي تقوم عليه النبوة في الإسلام[٦١]، حيث يوحي الله إلى من اصطفي من أنبيائه بواسطة من جبريل، أو بغير واسطة. وتختلف فلسفة الاتصال في الإسلام عنها في الفلسفة الغربية إذ يعول فلاسفة الإغريق على العقل في الاتصال بالأول (الله) إما بارتقاء عقل الإنسان في فلسفة الفيض عند افلاطون أو بتنقيته ليصبح نقيا فيشرق عليه نور الله في فلسفة الإشراق عند إفلاطون، والأخيرة اقرب إلى فكرة النبوة في الإسلام ولهذا لجأ إليها المتصوفة في تفسير أمر الولاية المأخوذة من حديث (مايزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل ..) التي أيدها الإمام الغزالي في المنقذ من الضلال[٦٢].

ما يهم في ذلك أن الروح تمثل العنصر الأهم في تركيب الإنسان مما يربطه بالله تعالى. ويختلف الإسلام اختلافا بينا عن النظم والديانات الأخرى في ذلك، إما في موازنته بين الروح والجسد التي تفتقدها الفلسفات الروحية في الديانات الأخرى، أو في اهتمامه بالروح مع الإهتمام بالجسد والعقل الذي تركز عليه التربية الغربية. ولهذه الثنائية المتوازنة بين الجسد والروح يهتم الإسلام بترقية الروح في نطاقه التربوي خلافا للنظام الغربي الذي استبعد الروح من تربيته واستبعد معها الكثير من المعنويات الأخرى المرتبطة بها. ولابد من الإشارة هنا إلى أن غياب التربية الروحية في مناهج التربية الغربية قد افضي بإنسان الغرب اليوم إلى خواء روحي خطير يحاول جاهدا ملأه بالخمر والمخدرات والموسيقي والرقص وأفلام الرّعب، وغير ذلك من الأشياء، ومع ذلك تظهر فيه الكثير من الأمراض النفسية والعقلية كل ذلك مع فقدان الثقة في الكنيسة ورجالها، ومن ثم الأرتباط الأجوف بها في المجتمعات الأوربية اليوم[٦٣]، ولعل هذا مما يفسر

انتشار الإسلام الروحي في كثير من المجتمعات الغربية عن طريق قيادات اسلامية روحية أمثال الدرقاوي وفرخان وغيرهما.

٢) **تكريمه بالعقل:** ونعمة العقل بدون شك نعمة كبرى من الله بها على الإنسان وهو من أهم عناصر الذات الإنسانية وهو مصدر التفكير والإدراك والتمييز والتفضيل وغير ذلك من مقومات السلوك الإنساني. والعقل هو مناط التكليف وموضع الخطاب، ولهذا فهو أصل في التربية ومحل مهم للترقية وهو مايميز الإنسان عن الحيوان وهو مايؤهله لقبول الرسالة ونقلها. ومع اختلاف التعريفات التي وردت عن العقل [٦٤]، فإنه يمثل الملكة أو القوة المدركة التي يكتسب بها الإنسان المعارف ويميز بين الاشياء يقول الإمام الرازي: (إن الباريء عز وجل أنما أعطانا العقل وحبانا به لننال به المنافع العاجلة والآجلة .. وبالعقل أدركنا جميع مايرفعنا ويحسن ويطيب به عيشنا ونصل إلى بغيتنا ومرادنا فإذا كان هذا مقداره ومحله وخطره وجلالته فحق علينا أن لانحُطه عن رتبته، ولا ننزله عن درجته)[٦٥]. فالعقل في الإنسان مكان التعظيم والإكرام للإنسان فضّله به على سائر المخلوقات فهو أداة الحصول على المعرفة التي فضل الله الإنسان بها أيضاً وكرمه كما جاء في آية التفضيل نفسها ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[٦٦]، وهو مناط الخطاب والتكليف والأمانة، والعهد والخلافة والعبادة التي خلق الإنسان من أجلها وهو المحور الذي تدور عليه علاقات الإنسان التي تقوم عليها حياته في هذا الكون مع الله ومع الكون ومع أخيه الإنسان.

٦)أ-٦- الخلافة في الارض:

سادس المنطلقات في فلسفة التربية الخاصة بالإنسان الخلافة في الأرض وهي من أعظم ماكرم الله به الإنسان وفضله على سائر المخلوقات ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[٦٧]، والخلافة منطلق مهم فى فلسفة التربية الإسلامية تدور حوله حياة الإنسان ووجوده في هذا الكون فهي مرتبطة

بالعهد الازلي الأول بين الله والإنسان وهو عهد اعتراف الإنسان بالربوبية لله تعالى: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾[٦٨]، وهي مرتبطة بالأمانة التي تحرأ الإنسان على حملها في الأزل ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾[٦٩]. وهي مرتبطة بالغرض الأول من خلق الإنسان وهو عبادة الله ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٧٠]، وغير ذلك مما هو جوهري في فلسفه التربية الإسلامية.

تنطوي الخلافة على تكليف عظيم عهد به الله تعالى للإنسان وهو السعي في الأرض بأمر الله وتوجيهه. وذلك بعد أن أهله الله تعالى بامكاناتها التي أودعها في خلقه جسما وعقلا وروحا والأخيرة من أقوي مؤهلات هذه الخلافة لأنها تمثل العنصر الذي يصل بين الخالق والمخلوق، به يكون الإنسان ربانيا فيحمل الرسالة ويؤدي الإمانة ويحفظ العهد ويخلص العبادة بالتقرب حتي يحبه الخالق فيكون عونا له على الخلافة. بهذا المفهوم كان الأنبياء خلفاء وجاءت كل الرسالات بتوجيهات الخلافة ممثلة في الوحي الذي يهبط من الخالق ليضيء للإنسان طريق الخلافة الحقة فالإنسان إذاً لم يؤهل من الخالق سبحانه وتعالى بكمال الخَلْق وحسب وإنما جاءه الهُدَى معينا له على أداء الأمانة والقيام بالخلافة على وجهها الأكمل ولهذا فالخلافة ليست تشريفا يسعي الإنسان إلى أن يكون أهلا له وحسب وأنما هي تكليف يعمل جهده لأدائه على وجهه الذي يرضي الخالق، مع كل مافي الحياة من فتن وابتلاءات ومحن . والخلافة مقرونة مع العبادة وراءها سر عجيب لايعرف أمره إلا الله ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٧١]، ذلك لأن هذا الإنسان خلقه الله ومعه الخطيئة ومعه الفتنة ومعه المعصية، وأنزل من الجنة إلى الأرض بذلك ﴿ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾[٧٢]، ومع ذلك استخلفه على الأرض.

ليس على الانسان أن يسأل عن حكم الله في ذلك وإنما عليه أن يعي فقط ما أوكل إلينا من استعمار الأرض ﴿ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾[٧٣]، والعمل على إصلاحها والسعي بالخير والصلاح فيها وهو ماينبغي على الإنسان التركيز عليه والقيام بحقه

خير قيام. وهو ماينبغي أن تُركز عليه التربية وفقا لهذه الفلسفة، وإذا كان الله تعالى قد أنزل القرآن هدى ورحمة للإنسان، فإنّ على فلاسفة التربية أن يلجأوا إليه في تربية الإنسان للقيام بحق الخلافة. وإذا كان محمد صلى الله عليه وسلم قد اصطفاه الله بالرسالة الخاتمة وهو كداؤود خليفة الله ولكنه الخاتم في الارض، فهو خير من يهدي في تربية الإنسان وفقا لمباديء القرآن يقول الشيخ يوسف القرضاوي: "وإذا نظرنا إلى المصدر الاول للإسلام وهو القرآن كتاب الله وتدبرنا آياته وتأملنا موضوعاته واهتماماته نستطيع أن نصفه بأنه كتاب الإنسان، فهو كله أما حديث إلى الإنسان أو حديث عن الإنسان"(٧٤).

وهذا يعني من جهة أخري أن القرآن متجه بكلياته إلى الإنسان ليضع الفلسفة التي تقوم عليها تربيته ومتجه بجرئياتها إليه لتحقيق تلك الفلسفة في حياته على أرض الواقع كجزء لايتجزأ من أمر الخلافة التي أعد الله نبيه الخاتم ليكون إمامها الذي يُقتدى به.

ويقول الإمام الغزالي عن التربية بالقرآن في ميزان العمل: (وكما أن دماغك منقوش بالقرآن إن كنت حافظا له، كذلك علومك تكون انتقاشاً يُحَسُ ويُبصر، ولكن نوعا من الانتقاش عقلياً)(٧٥)، القرآن إذن ينبغى أن يوجه فكر فلاسفة التربية المسلمين ويوجه أيضا عمل الإنسان وحياته علي وجه الأرض.

وإذا كان علماء الاصول من الغربيين يؤكدون ضرورة الأخذ بحقيقة أن طبيعة الإنسان نشاط وفاعلية في الأرض وهم ينظرون إلى فلسفة التربية (٧٦)، فإن الإسلام ليؤكد أن هذا النشاط هو المعني بأصل الخلافة باعتبارها مما كرم الله به الإنسان وفضله على سائر المخلوقات بحيث يصدر كل هذا النشاط وفقا لهدي الله في كتابه وسنة رسوله قائما على المباديء الكبري التي تحكم نشاط الإنسان وهي العودة لله والعدل والرحمة والصلاح والخير والبر وإعمار الأرض بما ينفع الناس والخلق بأسره لأنه الخليفة عليه.

٦)-أ-٧- تسخير الكون له:

يمثل هذا المنطلق جزءاً مهما من الأصول الفلسفية لتربية الانسان وذلك لأن الكون يمثل المكان الذى يعمل الانسان فيه وفق استخلاف الله له.

وهذا أيضا مرتبط بالخلافة مكمل للتأهيل والهدى إذ سخر الله الكون ومافيه للإنسان ليؤدي الخلافة على وجهها الصحيح لا ليجعله طوع بانه فقط - كما ترى الفلسفة الغربية - وإنما يسعي فيه بأمر الله إلى أعماره بما ينفع الناس ويرضى الله.

"وكان من تكريم الله للإنسان – في نظر الإسلام أن جعل الكون كله في خدمته مسخر لمنفعته والعوالم كلها والسماء والأرض والشمس والقمر والنجوم والليل والنهار الماء واليابس – النبات والحيوان والجماد كلها مسخر لمصلحة الإنسان وسعادته كرامة من الله له ونعمة عظيمة أنعمها عليه"(٧٧)، يمثل ذلك أصولا تربوية عديدة تحفز الإنسان إلى العمل الجاد المثمر الصالح الخيِّر الذي يرضي الله ومن ثم يقرب الإنسان إليه.

وقد تضافرت آيات القرآن الكريم بتسخير الله الكون للإنسان بشتى أنواع التخسير ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾(٧٨) ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾(٧٩)، وليس التسخير بالطبع خاص بما في الأرض وحسب بل يشمل الخلق بأكمله وقوانينه التي وضعها الله لتوازنه ولضبط حركته وتهيئته وتذليله لصالح الإنسان أنظر إلى قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴾(٨٠)، أنظر كيف أن الآيات أشارت إلى روعة الخلق ودقته وتهيئة الكون وتمهيده ليكون صالحا للحياة ومن ثم استخلاف الإنسان واستعماره فيه. كل ذلك ينطوي على قيم تربوية رفيعة تدعو

الإنسان إلى التأمل في قوانين الكون وسنن الطبيعة والسعي لاكتشافها والإستفادة منها في حياته وفقا لأمر الله وتوجيهه. بغير ذلك لا يتحقق معنى التسخير الذي تضافرت به الآيات ولا يتحقق أمر الخلافة الحقة التي يشارك فيها الإنسان عظمة الخلق بقيامه بوظيفته التي خلق من أجلها عبادةً وخلافةً.

٦)ـ ب ـ١ـ الإنسان وعلاقاته الكونية:

لعل هذا المبحث من أهم المباحث في فلسفة التربية الخاصة بالإنسان وذلك لأنه يتناول جانبا مهما من جوانب وجود الإنسان في هذا الكون وهو علاقة الإنسان وصلته بالكون حسب ما جاء به القرآن الكريم، وهو أيضا من الجوانب التي تختلف فيها فلسفة التربية في الإسلام عن غيرها من الفلسفات لارتباطه بجوهر العقيدة الإسلامية. يشمل هذا المبحث علاقات الانسانية المختلفة: الإنسان والخالق سبحانه وتعالى والإنسان والخلق من حوله والانسان وأخيه الانسان فما رؤية الإسلام الكلية الكاملة في ذلك؟.

٦)ـ ب ـ١ـ١ـ الإنسان والله تعالى:

إذا نظرنا إلى العقائد الأخرى السماوية منها وغير السماوية تطالعنا للوهلة الأولى مظاهر الخلط بين الله والإنسان، ففي كثير من الديانات الآسيوية والإفريقية كثيرا مايشار إلى الزعماء والقادة الدينيين بمفهوم "الإله God"، وهذا الخلط مخالف للفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها. وهي معرفة الله الواحد الأحد، هذا الخلط ناجم عن تصور الخالق تعالى بهيئة الإنسان أو صورته، ولاعجب في ذلك إذا رأينا معظم المصورات التي تمثل الأرباب في الحضارات تضع شكل الإنسان أنموذجا لذلك ربما ببعض الإضافات التي تمثل القوة عندهم. أما الديانات السماوية المحرفة اليهودية والنصرانية فهي أيضا لم تخرج من هذا التصور المخالف للفطرة؛ فالمطلع على ذلك في التوراة العهد القديم يلاحظ مظاهر التشبيه والتجسيم التي تنطق بها الآيات حيث "يأتي الله في ثلاثة، في ثياب بيض"، أو"يقهقه الله"، أو "يأمر بوضع الشارات علي واجهة الدور حتي

لايصيبها غضبة"، أو "يأمر بالسرقة" أو غير ذلك مما يؤكد التشبيه بالإنسان، كل ذلك مع مايوجد في التوراة من أصل التوحيد.

وبالمثل تخلط النصرانية بين الأب والإبن بما لايفرق بين الإنسان والله حتي في الفلسفة العقدية التي تتناول اللاهوت والناسوت في طبيعة المسيح عليه السلام وما ترتب عليها من ثنائية الخلق في العقائد النصرانية اللاحقة.

هذا التصور لايوجد مثله في الإسلام البتة لما في آيات القرآن المحكمة من الفصل الواضح بين الله والإنسان وجميع الخلق ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾[٨١]

هذه التفرقة بين الله والإنسان ذات دلالة تربوية كبيرة وذات خطر عظيم في توجيه الإنسان إلى مكانة الخالق من الخلق وعظمته و تفرده وجلاله، ومن ثم التسليم له والإسلام إليه ظاهرا وباطنا بخلاف النظرات التشبيهية الأخرى التي تقارب بين الله والإنسان وتخلط بينهما خلطا يمنع الإنسان من معرفة مكانته من خالقه.

أما الفلسفات الألحادية التي لا تؤمن بوجود الله أصلا فهي بعيدة كل البعد عن هذه التربية ومن ثم يقع صاحبها تحت سيطره الشك وخطر غرور العقل أوجنونه الذي عرف به أهل هذه الفلسفات[٨٢]، فالنظرة الإسلامية إلى الخالق متكاملة مع النظرة إلى الخلق التي مر ذكرها في خلق الإنسان ويترتب عليها جزء مهم من تربية ترتبط به غاية الخلق نفسها:

٦)- ب-١-٢- العبادة غاية العلاقة بين الله والإنسان:

تقوم العلاقة بين الإنسان والله على رؤية الإسلام الواضحة القائمة على غاية خلق الإنسان كما أرادها الله تعالى والمتمثلة في قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٨٣]، تمثل هذه الآية أصلا قويا من الأصول الفلسفية للتربية في الإسلام تقوم عليه العلاقة بين الخالق والإنسان.

وإذا كان معنى العبادة كما جاء في القرآن والسنة النبوية المطهرة هو تعظيم الله

وتمجيده والتسبيح باسمه فإن له دلالته التربوية الواضحة في خضوع الإنسان وتسليمه وانقياده لله تعالى ومن ثم امتثال أمره وطاعته ولاينفصل كل ذلك عن منطلق الاستخلاف لارتباط العبادة القوي بسلوك الإنسان في خلافته ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾(٨٤)، فالعبادة هي غاية خلق الله للإنسان موجهة لإصلاح عمله في علاقته بالمخلوقات ولهذا اقترنت آية العبادة "وما خلقت الجن والإنس ...الخ" بقوله تعالى: ﴿ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴾(٨٥)، في توجيه صريح من المولى عز وجل إلى أن الله لايحتاج إلى الإنسان وإنما يحتاج الإنسان في عبادته لعون الله له في أمر استخلافه ولهذا كانت العبادة تقربا إليه وطلبا للعون منه، كلما زاد التقرب زاد العون "مايزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل .. الخ" حتي يصل المرء إلى أن يكون ربانياً عمله كله في خلافته موجه بحول الله وقوته: "كنت سمعه .. وبصره .. الخ"، هذا الفهم لأمر العبادة ينطوي على قيم تربوية عالية متصلة بالعقيدة اتصالا مباشرا مما يؤكد أن فلسفة العبادة جزء من فلسفة العقيدة فى فلسفة التربية الاسلامية.

٦)- ب-١-٣- علاقة الإنسان بالخلق:

لاشك أن علاقة الإنسان بالخلق في فلسفة التربية الاسلامية مرتبطة بعلاقته بالخالق من جهة ومن جهة أخرى مرتبطة بأمر الاستخلاف في الأرض، فالله تعالى خلق الإنسان لذكره في عبادته الموجهة أصلا لاصلاح عمله في الحياة، والاستخلاف من جهة أخري أمر كرم الله به الإنسان وفضله على سائر الخلق للقيام به وفقا لأوامره ونواهيه فعلاقة الإنسان بخلق الله إذن تكون علاقة المسئول المكلف المؤهل لهذه المسئولية المتصدر لحمل الأمانة فى ﴿ وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾(٨٦)، لأنها مسئولية شاقة عهد الله بها للإنسان بعد إذ أقرَّ في الأزل بالعبودية ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾(٨٧)، فالإنسان بذلك يمثل المحور والقطب والواسطة التي تربط بين الله وخلقه وهو الوسيلة التي تصل بين الملا الأعلى والدنيا لأن فيه من الملأ الأعلى الروح وفيه من الدنيا الطين وهكذا أراده الله بهذه الثنائية بين عالم الأرواح وعالم المادة ليقوم مقام الخلافة في خلق الله، ومن ثم فإن علاقة

الإنسان بالخلق علاقة استخلاف واستعمار باصلاح وخير وعدل، علاقة مسئولية عظمى حملها الله الإنسان، وأمده الله بما يؤهله ويعينه على تحملها، وتقديرها حق قدرها.

تختلف التربية الإسلامية في ذلك عن النظم والفلسفات الأخرى التي يعمل فيها الإنسان في الدنيا بمقتضي عقله وقوته وقدرته وامكاناته وتقديره، دونما صلة بالله ولا علاقة له به تدعوه إلى الخير والفضيلة والصلاح وإعمار الأرض بما ينفع الناس.

ولعل أول مايطالع الناظر للفلسفات الأخرى خاصة الفلسفات الغربية يرى أن عمل الإنسان ونشاطه في الدنيا غير موجه فيها بقيم الخير والفضيلة والارتقاء الروحي، وإنما هو موجه إلى المنفعة المادية التي يسعي فيها الإنسان إلى السيطرة على الخلق وتسخيره لمصالحه، ولهذا يتجه إلى الإنتاج المادي بكل قواه لايهمه مآلات ما ينتجه ومكانة انتاجه من الخير والصلاح. بل قد نجده ينتج الشر والضر والهلاك من حيث يدري ولايدري. وبهذه الفلسفة القائمة على الاستخلاف والصلة الدائمة بالله، تتلمس التربية الاسلامية علاقة الإنسان بالحياة بما فيها من أحياء، حيواناتها ونباتها ويكون تعامله راقيا فيها ويسعي في صلاح الأرض والمحافظة على حرثها ونسلها ونوعها بما ينال به رضاء الله وأجره "في كل كبد رطبة أجر"، "وإزالة الأذي عن الطريق صدقة"، "اتق الله بشق تمرة"، "اذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليزرعها قبل أن تقوم الساعة" إلى غير ذلك من النصوص التي تدعو إلى الخير والفضيلة.

إن الانسان بهذا الفهم لاتحلم به فلسفات التربية الغربية أبدا بل ولايمكنها أن تتصور حتي وجوده على هذه الارض، إنسان الخير المأمون على الحياة، الآمن فيها، الأمين عليها الإنسان المعروف الذي لايسعي في الأرض إلا بالإصلاح والبر والحسنة هذا هو الإنسان الذي يحتاج إليه عالم اليوم الذي ساده الشر والفساد والظلم والإثم، وهو الإنسان الذى ترمى إليه فلسفة التربية الاسلامية.

٦)- ب-١-٤- علاقة الانسان بالانسان:

أما علاقة الإنسان بأخيه الإنسان فإنها تمثل الأساس الذي تقوم عليه فلسفة التربية الإسلامية لأنها منطلقة من طبيعة خلقه، وقائمة علي تفضيله وتكريمه،

وقائمة على استخلافه وهي جزء مهم في علاقته بالخلق التي مرت أنفا طالما أن الإنسان هو أفضل المخلوقات. فإذ كانت علاقة الإنسان مع الخلق بتلك العظمة وذلك الرقي فإن علاقته بأفضل الخلق أخيه الإنسان لابد أن تقوم على أسس أرقي وأكمل وأمثل. ولعل أول أصل يطالعنا في ذلك هو مراعاة كمال خلقه وجماله، والحفاظ عليه كما خلقه الله كاملا جسما وعقلا وروحاً ومشاعر وأحاسيس، حرم الله جسم الإنسان وعظمه، لأنه خلقه في أحسن تقويم فشرع القصاص في الروح والدم والاعضاء ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾[٨٨]، "وذمة حرام إلا بحق الإسلام". والقصاص مفروض حتي فى أقل أجزاء البدن ﴿ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ ﴾[٨٩]، كمامنع الإسلام المساس بعقل الإنسان فحرم ما يذهبه. ومنع المساس بمشاعره وتدمير وجدانه بالكلمة السيئة والخبيثة، وحظر اطلاق اللسان بالاذي، "وهل يكب الناس على وجوههم في النار إلاحصاد ألسنتهم"، وضرب الأمثال للكلمة الخبيثة ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾[٩٠]، وبالمقابل حبب الإسلام في الكلمة الطيبة والتعامل الراقي بين بني البشر "تبسمك في وجه أخيك صدقة".

كما دعا الإسلام إلي الرقي القائم على الإنسانية في التعامل مع الإنسان: الغني مع الفقير، والسيد مع الخادم والمقيم مع المسافر والجار مع الجار والقريب مع ذوي القربي واليتامي وعبر ذلك مما يصرح به القرآن وتحفل به السنة من مظاهر الشفافية التي تخطت مرحلة الحقوق إلى مراحل بعيدة المنال مما هو معروف فى حضارة التعامل ورقيه فى الاسلام.

أما حقوق الإنسان فقد نظر إليها الإسلام نظرة متقدمة لايرقي إليها غيره حيث بدأ النظر في حقوقه قبل أن يوجد فجعل حقه في اختيار الأب الصالح والأم الصالحه, حتي لايتضرر بعد أن يولد بسوء الاختيار (تخيروا لنطفكم) وجعل حقه في الاسم الطيب يختار له حتي لا يتضرر بسوء الاسم فجعل "خير الاسماء ما حمد وعبد" أين ذلك من التربية الغربية والثقافة الغربية التي تجعل الطفل كالاشياء فتخاطبه– بلفظة "It" كالجماد

والحيوان والكم المهمل وتتعامل معه كالتعامل مع الحيوان وتنطبق عليه تجارب التعلم مع الفأر والكلب والطير، وهو فى الإسلام إنسان كامل الأهلية للحقوق معظم مقدر حق قدر الإنسان في التعامل والتناول والخطاب، فالإنسان معظم مكرم عند الله وهو كذلك عند أخيه الإنسان حيا أوميتا.

ولعل مما يميز مكانة الإنسان عند أخيه الإنسان بين الإسلام وغيره من الثقافات، الطريقة التي يعامل بها الإسلام مع الميت بغض النظر عن مكانته الاجتماعية أو عنصره أو عرقه: يغسل ويطهر ويلبس الجديد الأبيض ويعطر ويصلي عليه قبل أن يعاد إلى أصله. كل ذلك في احتفال واحتفاء به مهيب، وكل ذلك ينطلق من فلسفة خلقه وتكريمه وتفضيله واستخلافه وفي كل ذلك تربية عظيمة يعرف بها الإنسان حق قدره ومكانته وعظمته حيا وميتا فأين الغرب من هذه التربية, وأى فلسفة للتربية يمكن أن توجد فى العالم بهذا الكمال والشمول والدقة فى تناول الإنسان ومكانته.

النتائج:

بهذه الخلفية من استعراض فلسفة التربية في ضوء القرآن الكريم بالتركيز على الانسان ومكانته تخلص الورقة إلى النتائج التالية:

١) إن القرآن الكريم في مجملة إما كلام عن الانسان أو خطاب مباشر له يوجهه إلى مسؤليته في الحياة ويربية على القيام بها على الوجه اللائق بالكمال البشري الذي خلقه عليه الله تعالى.

٢) إن فلسفة تربية الانسان في القرآن تنطلق من طبيعة خلقة المزدوجة وهي الارتباط في جوهره بطين الأرض لا يتجبر بأي مكانه بلغتها وإنما يتواضع إلى الله ليرتفع إلى سمو الروح المكون الثاني لجوهرة.

٣) إن فلسفة تربية الانسان القرانية تحتم عليه المحافظة على سواء خلقه وكماله والحفاظ على سواء وكمال أخيه الانسان ومن ثم التعامل الرفيع معه.

٤) إن فلسفة التربية القرآنية تدفع الانسان إلى التعامل مع الكون على أنه ملك الله وهو جزء منه ومن ثم لا يسخر قوانينه إلا فيما يرضي خالقه.

٥) إن فلسفة التربية في القرآن الكريم تقوم على ضبط سلوك الانسان في الكون والحياه بمفاهيم الاستخلاف والأمانة والعهد الموجهة في مجملها لتحقيق كمال العبوديه لله وكمال ربوبيته كل هذه النتائج يمكن أن تستخلص منها أهداف التربية ومسؤليتها وتخرج التوصيات والمقترحات اللائقة بالانسان وتربيته.

ومن ثم يوصي البحث:

(بأن يتخذ القرآن الكريم مرجعاً ومصدراً أولياً لفلاسفة التربية في تناولهم لحقيقة الانسان وطبيعته حتى ترتكز أصولهم التربوية على رؤية حقيقة ومأمونة لتربية الانسان. وبما أن صاحب هذا البحث من خلال اطلاعه على الفلسفات الغربية التي تناولت الانسان موقن بالاعجاز التربوي للقرآن الكريم فانه يقترح إجراء بحوث علمية معمقة في هذا المجال والمجالات اللصيقة به).

الهوامش المرجعية:

[1] الدكتور عبدالرحمن بدوي مدخل إلي الفلسفة، وكالة المطبوعات الكويتية، ١٩٩٧، ص٧.
[2] سيد ابراهيم الجيار التوجيه الفلسفي والاجتماعي للتربية القاهرة، ١٩٧٧م، ص٣٢.
[3] الدكتور عباس محجوب الحكمة والحوار علاقة مبادلة اربد، الإردن، ٢٠٠٦م، ص٢.
[4] سورة البقرةالاية:٢٦٩.
[5] سورة لقمان الاية:١٢.
[6] البخاري، جـ١، ص٥٨.
[7] أ.د. بشير حاج التوم الأصول الإسلامية لتربية المعلم، جامعة النيلين الخرطوم، ص٨٩.
[8] John Dwey Dcmocracy and Education New York 1963 P 328+
[9] Steven Kahn, The Philosophical Foundations of Education New York 1970 P.367
[10] نفس المرجع والصفحة.
[11] ابراهيم الجيار المرجع السابق، ص٢٥.
[12] د.سعيد اسماعيل علي، فقه التربية، دار الفكر العربي، القاهرة ٢٠٠٥م، ص٢٤٤-٢٤٥.
[13] John S. Bruhacher Modern Philosophies of Education New York 1950 2nd Edu. London
[14] نفس المرجع، ص٣٧.
[15] محمد لبيب النجيحي فلسفة التربية.
[16] Probacher، المرجع السابق.
[17] د.ج. س نيللر في فلسفة التربية ترجمة محمد منير مرسي القاهرة ١٩٧٢م، ص٣٨.
[18] سيد إبراهيم الجبار، مرجع سابق ص١٩.
[19] Donald Butler, four philosophies and Their Practice in Education and Religion, New york 3rd Edi 1967 ,P27
[20] د. سعيد اسماعيل علي، فقه التربية، مرجع سابق، ص٢٩٧.
[21] Brubacher Modern Philosophies، مرجع سابق، pp1-2.
[22] عبدالرحمن النقيب، فلسفة التربية الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٣م، ط١، ص٦٥.
[23] أ.دبشير حتج التوم، الأصول الاسلامية لتربية المعلم، مرجع سايق، ص١٠٠-١٠٢.
[24] جون ديوي، الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني ترجمة محمد لبيب النجيحي القاهرة، ط١ ١٩٨٦م، ص٢٦.
[25] Jean Juv "The Development of Philosp phical Thought in Its Relationship With Islam in Islam Philosophy and Science Unisco 1981 pp45 – 46 .
[26] يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للاسلام، دار غريب للطباعة، القاهرة، ١٩٧٧م، ص٦١ .
[27] الاية (النساء:١).
[28] انظر فلسفة الفيضي عند افلاطون وفلسفة الاشراق عند فلاسفة الا سكندرية، عبد الرحمن بدوي، مدخل الى الفلسفة، مرجع سابق.
[29] زكريا إبراهيم مشكلات فلسفية، ج٢، مكتبة مصر، بدون تاريخ، ص١٤.

[30] هذا اساس النظرة الداروينيه المعتمده على اصل الانوع.
[31] الاية (النساء:١١٩).
[32] مايعانيه الاوربيون في جنون البقر والسارس وانفلونزا الطيور وغير ذلك دليل علي تطاول الانسان على طبيعة خلق الله.
[33] الآية (الحجر:٢٨).
[34] الاية (المؤمنون:١٢).
[35] الاية (طه: ٥٥).
[36] الاية (نوح: ١٧).
[37] الاية (نوح: ١٨).
[38] الاية (المؤمنون: ١٢).
[39] الآية (الحجر: ٢٦)
[40] الاية (المؤمنون: ١٤).
[41] الاية (الإسراء: ٨٥).
[42] الاية (الحجر: ٢٩).
[43] الاية (البقرة: ٣٠).
[44] الاية (التين: ٤).
[45] الاية (الانفطار: ٧ – ٨).
[46] الاية (الحجر: ٢٩).
[47] فى التعريفات الغربية تركيز واضح على فكره الاخراج Educre ، Educt
[48] هذا المفهوم يركز عليه الاقدمون من امثال الغزالي والرازي والراغب الاصفهاني- انظر الامام الغزالي رسالة ايها الولد.
[49] فى تاريخ الفكر التربوي يشير المؤرخون الى تركيز دولتى اثينا واسبرطه على تنمية العقل والجسم.
[50] كما فى نظرة العقيدة النصرانية إلي الإنسان باعتباره مصدر الخطيئة.
[51] يرى الامام الغزالي أن التربية تعني "الرعايه لكمال النبات وبلوغ الثمار" ويبين وظيفتها بقوله " فعل التربية يشبه عمل الفلاح يقتلع الشوك ويخرج النباتات الاجنبيه من الزرع ليحسن نباته ويكتمل ريعه"، انظر الغزالي، رسالة ايها الولد المحب.
[52] الاية (الإسراء: ٧٠).
[53] الاية (ص: ٧١ – ٧٢).
[54] اليهودية لها دورها فى ترسيخ العنصرية لدي الانسان. وكذلك ديانات البراهما ذات التوجه العنصري الواضح.
[55] دعوة أمريكا إلي قيام أمبراطورية عظمى فى توجه الامه الامريكية الجديدة الذى يظهر فى اعلامها.
[56] (البقرة: ٣٤).
[57] الاية (البقرة: ٣٠).
[58] د. يوسف القرضاوي الخصائص العامه للإسلام، مرجع سابق، ص٦٧- ٦٩.
[59] د.عبدالله زاهي الرشدان الفكر التربوي الإسلامي، عمان الأردن، ط١، ٢٠٠٤، ص ١٩

[60] الآية (البقرة: ٣٨).
[61] هذا المعنى يركز عليه فلاسفه الاسلام ومن بينهم ابن سينا والغزالي.
[62] أبو حامد الغزالي: المنقد من الضلال مرجع سابق.
[63] هوفمان محاضرة ألقيت في قاعة الاجتماعات بإدارة جامعة إفريقيا العالمية.. فبراير ٢٠٠٤م.
[64] عن د.عبدالله زاهي الرشدان، المرجع السابق، ص٢٣.
[65] نفس المرجع والصفحه.
[66] الاية (البقرة: ٣١).
[67] الاية (البقرة: ٣٠).
[68] الاية (الأعراف: ١٧٢).
[69] الاية (الأحزاب: ٧٢).
[70] الاية (الذاريات: ٥٦).
[71] الاية (البقرة: ٣٠).
[72] الاية (البقرة: ٣٦).
[73] الاية (هود: ٦١).
[74] د. يوسف القرضاوي، مرجع سابق، ص٥٩.
[75] الامام الغزالي، ميزان العمل بدون تاريخ، ص٤٣.
[76] Brubacher، مرجع سابق، ص٤٥.
[77] د. يوسف القرضاوى، مرجع سابق، ص٦٥.
[78] الاية (الملك: ١٥) .
[79] الاية (إبراهيم: ٣٢ – ٣٤) .
[80] الاية (النبأ: ٦ – ١٧) .
[81] الايات (الشورى:١١)، (الإخلاص: ١ – ٢)، (الفاتحة:٢)، (البقرة:٢٥٥)، (الحديد:٣).
[82] يؤكد مورخوا الفلسفات الغربية الحديثة حتمية مرور أى : من مؤسس هذه الفلسفات بمرحلة من الشك الخطير الذي قد يؤدي الى المرض العقلي أنظر مرجع سابقD.Butler Four Philosophies
[83] الاية (الذاريات:٥٦).
[84] الاية (العنكبوت:٤٥).
[85] الاية (الذاريات:٥٧) .
[86] الاية (الأحزاب:٧٢) .
[87] الاية (الأعراف:١٧٢).
[88] الاية (الأنعام: ١٥١) .
[89] الاية (المائدة: ٤٥).
[90] الاية (إبراهيم: ٢٦).